الفصل الرابع

صفاته وأخلاقه

١- كان فارعا وسيم القامة مقتحماً في آخر أيامه ، طويلاً غير فاحش ، ثاقب البصيرة ، قوي البنية ، حريصا على صحته ، يختار طيّب الأكل والشرب واللباس ، ويستغني بالضروريات عن الكماليات .

٢- عالي الهمّة ، قوي العزيمة ، يستلذّ ركوب المخاطر في سبيل الغاية والهدف ، ويعتزّ بالله ثمّ بنفسه اعتزازا مترفّعا عن الطمع والطبع .

٣- شجاعاً صريحاً يحطم التمويه ، ولا يعرف المواربة في قول الحقّ أمام كلّ جائر ، يستعمل الحكمة والموعظة الحسنة ، فيقابل المدعوين ، أو يراسلهم ، وإذا لم ينفع ذلك عمد إلى الجهر ليّنا ، أو قوة ، حسب مقتضيات الأحوال .

٤- صبوراً حليما لا ينتهي إليه الونى ، ولا الوهن ، ويثابر على إتقان المهمة وأدائها .

٥- صدوق القول والفعل ، لا يخون الأمين ، ولا يفجر في مخاصمة العدو ، وشاع كيف ينصف منافسيه فيما لهم ، ولا يغمز مناقبهم ومحاسنهم .

٦- جوادا سخيّا يكرم الضيف ، ويحسن المثوى ، ويغري القرى ، وكما كان منبره في الجمع والأعياد موئل المصلين والمستمعين ، ظل يكتظ بالناس بعد صلواتهم يهرعون إلى جفانه آدبين .

٧- زاهداً فيما عند الناس لما عند الله الكريم ، وكم حاول الملوك والأمراء والساسة أن يستميلوه إليهم بعطاء ، أو جاه ، أو رئاسة ، فيعرض عنهم

خوفا من أن يصرفوه عن مبدئه ومنهجه، إلاّ ما جاء إحساناً من زكاة وبر، يبتغي به صاحبه وجه الله، فيأخذ ماله منه، ويصرف ما بقي إلى العاملين معه والمحتاجين وذوي القربى.

وبهذه العوامل مجتمعة نهض نهضة قوية للقيام بالعمل في سبيل الله على قدر ما وسعه عليه، فجاهد لإعلاء كلمة الله بقلبه وبلسانه وبقلمه، على امتداد العقود الخمسة من عمره، واستقرت آثاره واضحة نصب الأعين نختصرها فيما يلي:

أ- بنى مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي عام (١٣٧٢هـ) ـ (١٩٥٤م) بعد أن مكث سنتين بأبيكوتا ١٣٧٠هـ - ١٩٥٢م، وكان إمام وخطيب جامعه، يلقي فيه خطبا، ومقالات، ودروسا دينية وعلمية واجتماعية على مسارب الحياة العامة، ولم يزل يلازم هذه المهمة حتى آخر أنفاسه.

ب- خرّج ما يزيد على عشرة آلاف مثقّفين في شتى العلوم العربية والإسلامية، وتفرّعت عنه عدّة مدارس ومراكز ومعاهد في «نيجيريا» و«بنين»: (الداهومي)، و«غانة»، و«أبيدجان»، ويبلغ عدد خريجي تلك المراكز، والمعاهد خمسين ألفاً بواسطة تلامذته والمقتبسين منه.

ج - أسلم على يديه خلق كبير، يتراوح عددهم ألف معتنق.[1]

د - ألّف عدّة كتب ومقالات ومنظومات وقصائد ورسائل، على اختلاف أنواعها، وإلى جانب ذلك ما أعدّه من مقررات مدرسيّة وغيرها، وقد دوّن في حال حياته الزميل الأستاذ «صدّيق فاروق» طائفة من خطبه المنبرية في الجمع والأعياد، أنزلها في شتى الموضوعات من دعوة، وتربية، واجتماع، وسياسة، ومن آثاره الجليلة ديوانه الشعري الذي جمعه هيئة التدريس بالمركز عام ١٩٩١م، والذي كنّا بصدد دراسته.

---

(١) رواية شفهية بمكتبته بالمركز عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

هـ ـ شارك في مؤتمرات إسلامية بالقدس ، وصوماليا ، ومكّة المكرّمة ، والمدينة المنوّرة ، ومصر ، وليبيا ، وموريتانيا ، والمغرب ، وكان عضوا للمجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة بالأزهر الشريف طيلة حياته .

و ـ ألقى عديدا من المحاضرات والندوات في الهيئات والجمعيات الإسلامية والمعاهد العليا ، وفي الجامعات داخل البلاد وخارجها .

ز ـ شغل منصب رئيس جماعة نصر الإسلام فرع ولاية كوارام ١٩٧٣م - ١٩٧٩م .

ح ـ تعاون مع الدعاة والعلماء والأئمة في إنشاء جمعية الشباب الإسلامية في نيجيريا عام ١٩٥٨م ، ورابطة الأئمة والعلماء في بلاد يوربا التي ظلّ أمينها إلى أن لبّى نداء ربّه عام ١٩٩٢م .

ز ـ كان عضو رابطة الشعوب الإسلامية عام ١٩٨٢م ، والتي جاءت ثمرتها باستقدام المرحوم شيخ الأزهر « جاد الحق » ، والأمير « فيصل » السعودي لزيارة البلاد وتفقّد أحوال المسلمين .

هذا ، وقد استبدل المجد الأدبي بالسياسي ، خلقته له كفاءته العلمية ومهارته الثقافية ، فقضى حياته زاهدا في مقاعد الرياسة منزلة الأدب ، وترك اللقب العلمي الفخري « دكتوراه » إلا المشيخة[1].

ولم يبتغ مقاليد الوزارة ، ولا حرص في السفارة ، ولا طمع في القضاء ، ولم يكن يلهث في شيء من حظوظ الوجهاء ، بل كانوا يتودّدون إليه ، ولكنه يزهد فيهم خشية أن يأفل نجم العلماء والأدباء ، وفي ذلك يقول :

« أما الوظيفة الحكومية والسير في ركبها ، فأنا الذي ارتفعت عنها بعزة النفس التي امتاز بها السلف الذين كانوا يفرون من وظائف الخلفاء والأمراء في

---

(1) عرضت عليه جامعات البلاد منحه الدكتوراه الفخرية ، ورغب عنها حتى جاءت من مصر عام ١٩٨٩م جائزة القيادة ضمن عباقرة العلم المعاصرين ، ومن بينهم عباس محمود العقاد .

العصور الإسلامية السالفة ، وقد أغناني الله بكلّ ما يكفيني من المعيشة حتى وجدت نفسي قاصراً عن أداء واجب الشكر على نعم الله ، غير أني أجدّد عزيمتي ، قال الله تعالى حكاية عن سيدنا موسى ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (القصص:١٧) [1] .

* * *

(1) الإلوري ، أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول ، مطبعة الثقافة الإسلامية ، أغيغي ، ط/١ ، ص : ٣٠ .

obeikan.com